تلقِّي القرآن الكريم

عبر العصور

مفهومُه وضوابطُه

إعداد

خادم القرآن الكريم

د. أيمن رشدي سويد

دار نور المكتبات

حقوقُ الطَّبع محفوظة إلَّا بإذنِ المؤلِّف
حرصاً علىٰ سلامة الأصل

الطَّبْعَة الأولىٰ
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

يطلب من: مركز وقف المصحف
جُدَّة - حي السلامة
شارع عبد الرحمن السُّدَيريِّ - شمال مسجد الشُّعَيبيِّ
ص.ب: ٤٠٣٧٤ - جُدَّة ٢١٤٩٩
هاتف: ٦٨٣٨٠٥١
المملكة العربيَّة السعوديَّة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله، والصلاةُ والسلامُ على سيِّدنا ونبيِّنا محمدٍ رسولِ الله، ومَن والاه، وآله وصحبِه الكرام، أمَّا بعد:

فإنَّ مِن أهمِّ الأمورِ التي تُميِّز أمَّةَ الإسلامِ عن غيرِها من الأُممِ أنَّها تلقَّت كتابَ ربِّها عبرَ خمسةَ عشَرَ قرناً من الزمان بالنصِّ الأصليِّ الذي أُنزِل به القرآنُ مكتوباً ومنطوقاً.

وخلالَ تلك المسيرةِ الطويلة تداولَته ألسنةٌ شتَّى من شعوبِ الأرضِ كلِّها، وبينَهم من الفُروق اللُّغوية واللَّهَجيَّةِ الشيءُ الكثير.

فكيفَ تمَّتِ المحافظةُ على نُطقِ الأصواتِ القرآنيَّةِ كما أُنزلَت وإلى عصرنا هذا من غير أن يُصيبَها تغييرٌ أو تبديل ؟ وما هي الضوابطُ التي وضعَها أئمةُ القراءةِ واستطاعوا من خلالها المحافظةَ على النصِّ الأصليِّ سليماً كما أُنزل ؟

حتى نفهمَ ذلك ونُكَوِّنَ تصوراً صحيحاً عنه لا بدَّ لنا من أن نبدأ دراستنا من أول السِّلسلة، أي بتلقي النبيِّ ﷺ للقرآنِ العظيمِ من جبريلَ عليه السلام.

إن نقلَ المعلوماتِ من ملَكٍ نُورانيٍّ إلى بشرٍ من لحمٍ ودمٍ ليس بالأمرِ المُعتاد بين الناس، ولا هو من أساليبِ التعلُّم التقليديَّة، بل هو كيفيةٌ اسمُها (الوَحيُ) لا يَعرفُها حقَّ معرفتِها إلا مَن عاناها، والذي نَعرِفه عنها أنها تفريغُ معلوماتٍ من الملَك إلى روحِ الموحَىٰ إليه مباشرةً من غير مُرورٍ على الأذُن أو العينِ البشريَّتَين.

ولعلَّ أقربَ شيءٍ نستطيعُ أن نشبِّه به ظاهرةَ الوحيِ هو الرُّؤيا المناميَّةُ التي تَحدث لكلِّ واحدٍ منا في النَّوم، فترىٰ فيه الروحُ وتَسمعُ ولكنْ مِن غيرِ استعمالِ الأُذنِ والعين، ولعلَّ مما يدلُّ على ذلك قولَه تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ

فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[1] وقولـه : ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾[2].

إذَن فالقرآنُ العظيمُ كان يَنزلُ على قلب النبيِّ ﷺ لا على أُذنِه وعينِه، وهُو الوحيُ كما ذكَرْنا، قال ﷺ واصفاً تلك الحالة: « أَحْيَاناً يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ ـ وَهوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ ـ فَيَفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ »[1].

والنبيُّ ﷺ كان يتلقَّىٰ من جبريلَ عليه السلام كلَّ ما يتعلَّق بالنصِّ القرآنيِّ مِن حيثُ كتابتُه ونطقُه، وقراءاتُه، وظاهرُه وباطنُه، وأسرارُه وأنوارُه.

وكان إذا نَزَل عليه مقطعٌ قرآنيٌّ دعا مَن حضَره مِن الكتَبةِ فيكتُبون بين يدَيه ﷺ ويَنفضُّ المجلسُ والنبيُّ ﷺ

---

(١) البقرة ٩٧.

(٢) سورة الشعراء.

(١) صحيح البخاريِّ ، كتابُ بدءِ الوحي، الحديث ٢.

راضٍ عن تلك القِطع، ولو أخطأَ أحدُ الكتَبة سهواً أو عمداً لصحَّح الوحيُ مباشرةً كما قال تعالى في سورة الحاقَّة: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ [يمينِ الكاتب] ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ هذا من حيثُ النصُّ المكتوب.

وأما أصواتُ القرآنِ فقد كان النبيُّ ﷺ يتلفَّظُ بها بفمِه الشريفِ والصحابةُ يَسمعونها بآذانهم، كما فَعلَ النبيُّ ﷺ ذلك مع أُبيِّ بنِ كعبٍ رضي الله عنه.

وأحياناً أُخرىٰ كان ﷺ يطلبُ مِن بعضِ أصحابِه أن يقرؤوا أمامَه وهو يَستمعُ كما فعلَ ذلك مع ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه.

والصحابةُ الكرامُ عربٌ أَقْحاحٌ ليسوا بحاجة لَمن يُصحِّح لهم حروفَهم أو نُطقَهم، وإنَّما بدأتْ تلك الحاجةُ تَظهرُ بدخول الأعاجمِ في الإسلام، فقام عددٌ من علمائنا الأفذاذِ ـ كأبي الأسود الدُّؤَليِّ والخليلِ بنِ أحمدَ الفَراهيديِّ ـ

بوضع ضوابطَ وقواعدَ تحفظُ للنصِّ القرآنيِّ صحَّةَ أصواتِه ودِقَّةَ ألفاظِه.

إنَّ القرآنَ العظيمَ بناءٌ شامخٌ يتألَّفُ من سُور، والسُّورةُ تتكوَّنُ من آيات، والآيةُ تتشكَّلُ على الأغلب مِن جُمل، والجُملةُ مِن كلمات، والكلمةُ مِن حروف.

فأصغرُ وِحدةٍ بنائيَّةٍ في القرآن العظيمِ هي الحرفُ، مِن هنا توجَّهتْ عنايةُ علمائِنا إلى دراسة الحروفِ التي تتألَّفُ منها لغةُ العرب مِن حيثُ أماكنُ خروجِها، وصفاتُ كلِّ حرفٍ منها، سواءٌ كانت تلك الصفاتُ للحرف مفرداً أو مجتمعاً مع غيره.

بل ذهبوا إلى أبعدَ مِن ذلك، فضَبطوا لنا أزمنةَ الحروف على الصفة المتَلقَّاةِ من الحضرةِ النبويَّةِ الأفصحيَّةِ سواءٌ في ذلك المدودُ في حروفها والغُنونُ في ميماتها ونوناتِها.

فمِن ذلك ما رواه أبو العَلاءِ الهمَذانيُّ العطارُ بسندِه إلى جَبَلَةَ بنِ سُحيم، قال: قرأتُ على عبدِ الله بنِ عُمرَ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾[1] قال: فأخذَها عليَّ بالمدِّ، ثم قال: قرأتُها على رسولِ الله ﷺ كما قرأتَها، فأخذَها عليَّ كما أخذتُها عليك، وفَغَرَ فاهُ[2].

ومنه ما رواه بسنده إلى أبي بكرِ بنِ عَيَّاشٍ شُعبةَ قال: سألتُ عاصماً عن قوله: ﴿رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ﴾[3] قال: فخِّم الأوَّلَ ورَقِّقِ الثاني[4].

كلُّ ذلك محافظةً منهم على أصوات القرآنِ الكريم مِن

---

(١) التوبة ٦٠.

(٢) انظر التمهيد في معرفة التجويد لأبي العلاءِ الهمَذانيِّ ص ١٦١.

(٣) الأنعام: ١٢٤.

(٤) انظر التمهيد في معرفة التجويد لأبي العلاءِ الهمَذانيِّ ص ٢٩٨.

أن تتغيرَ بتداول الألسنةِ المختلفةِ لها، إذ إنَّ الألفاظَ قوالبُ المعاني؛ فإذا تغيَّر اللفظُ تغيَّر المعنى المُناطُ به.

فـ: «عَسَىٰ» في لغة العرب فِعلُ ترَجٍّ لحصول أمرٍ ما، فإذا فُخِّمتْ سينُه صار: «عَصَىٰ» وهذه تحتمل أن تكون فِعلاً بمعنى: خالَف، وأن تكون اسماً للأداة التي يتوكَّأُ الإنسانُ عليها.

وقد كان علماؤُنا في الصَّدرِ الأوَّل يُلحِقون مبحثَ مخارجِ الحروفِ وصفاتِها في آخرِ كُتبِ النَّحوِ والصَّرف، كما فعلَ سيبوَيْهِ وغيرُه، ولكنْ لَمَّا اشتدَّتِ الحاجةُ إلىٰ هذا الموضوعِ في تعلُّم نُطقِ القرآنِ العظيمِ النُّطقَ الصحيحَ أُفرِد بالتأليف فظَهرَ عندنا ما عُرِف بين الناس بـ: علمِ التَّجويد.

ولو كان قد ظَهرَ في زَمنِ النبيِّ ﷺ ما نراه اليومَ مِن آلاتٍ حديثةٍ تُسجِّل الصوتَ والصُّورةَ بالدِّقةِ المتناهيةِ

والوضوحِ التامِّ فصوَّروا وسجَّلوا لنا تلاوةَ رسولِ الله ﷺ لَكُنَّا في غِنًى عن كتبِ التَّجويد جميعِها، فقد كان يكفي الواحدَ منَّا أن يُشاهِدَ ويَسمعَ رسولَ الله ﷺ ويُحاكيَ نُطقَه، ويُقلِّدَ لفظَه.

فلمَّا كان هذا الأمرُ معدوماً في زمنِ النبوَّة أَلهمَ اللهُ سبحانَه وتعالىٰ علماءَنا العِظامَ وضعَ قواعدِ علمِ التَّجويدِ التي نستطيعُ أن نسمِّيَها: التصويرَ الكتابيَّ للنُّطقِ النبويِّ.

إذَن صار تلقِّي القرآنِ العظيمِ مِن عصر التابعينَ وتابعيهم منضبطاً بالقواعدِ التجويديَّة، وبالتالي صار التلقِّي تلقِّيَين:

١- تلقٍّ منطوق: وهو ما يُشافِه به معلِّمُ القرآنِ طلَّابَه من أصواتِ القرآنِ الكريمِ كما تلقَّاها هو.

٢- تلقٍّ مكتوب: وهو ما دوَّنه أئمتُنا من قواعدِ علم التَّجويد.

ولكُلِّ واحدٍ من فرعَي التلقِّي دَورُه وأهميَّتُه، ولا يُغْني أحدُهما عن الآخَر.

فليس لإنسانٍ ـ كائناً مَن كان ـ أن يقرأَ القرآن الكريم أو يُقرئَه بأصواتٍ مخالِفةٍ للمنصوصِ عليه في التلقِّي المكتوب زاعماً أنه تلقَّىٰ ذلك مشافَهةً عن أشياخه، إذِ النُّصوصُ ـ كما يقول الإمامُ ابنُ الجزريِّ ـ لا تُصادَم بالآراء[1].

كما أنَّه ليس لإنسانٍ لم يشافِهْ بأصواتِ القرآنِ أستاذاً مُتقِناً أن يأتيَ إلىٰ نصوصِ الأئمَّة المجوِّدين فيَستنطِقَها ويَستنبِطَ منها أشياءَ لم تخطُر ببالِ أصحاب تلك النُّصوص، ولو خرجَ الواحدُ منهم مِن قبره لقال لذلك الإنسان: لم أَقصِد ما فهمتَ مِن كلامي ولم يخطُر ببالي.

وكِلا هذين الأمرَين مزلقٌ خطير، زلَّت به أقدامُ كثيرٍ مِن

---

(١) انظر النشر ١/ ٢٦٢، ٢٦٥.

الناس، فأتَوا بما لم يُسبَقوا إليه من تغييرٍ لأصواتِ بعضِ الأحرفِ القرآنيَّة بسبب عدمِ اكتمالِ منهجِ التلقِّي عندهم، والاكتفاءِ بإحدىٰ شُعبتَيه عن الأخرىٰ.

قال الإمام أبو بكرِ ابنُ مجاهدٍ (ت ٣٢٤ هـ):

«فمِن حملةِ القرآنِ المعربُ العالمُ بوجوه الإعراب والقراءات، العارفُ باللُّغات ومعاني الكلام، البصيرُ بعيب القراءة، المنتقدُ للآثار، فذلك الإمامُ الذي يَفزَع إليه حفَّاظُ القرآنِ في كلِّ مصرٍ من أمصار المسلمين.

ومنهم مَن يُعرِبُ ولا يَلحَنُ، ولا عِلمَ له بغير ذلك، فذلك كالأعرابيِّ الذي يقرأ بلغته ولا يَقدر علىٰ تحويل لسانه، فهو مطبوعٌ علىٰ كلامه.

ومنهم مَن يؤدِّي ما سمعَه ممَّن أَخذَ عنه، ليس عندَه إلا الأداءُ لما تعلَّم، لا يَعرفُ الإعرابَ ولا غيرَه، فذلك الحافظ

فلا يَلبَثُ مثلُه أن ينسىٰ إذا طال عهدُه فيضيِّع الإعراب لشِدَّة تشابُهِه، وكثرةِ فتحِه وضمِّه وكسرِه في الآية الواحدة، لأنه لا يَعتمِدُ علىٰ علمٍ بالعربية، ولا بَصرٍ بالمعاني يَرجِعُ إليه، وإنَّما اعتمادُه على حِفظِه وسماعِه.

وقد يَنسَى الحافظُ فيُضيِّعُ السماعَ، وتَشتبِهُ عليه الحروفُ، فيقرأ بلَحنٍ لا يَعرفُه، وتدعوه الشبهةُ إلىٰ أن يرويَه عن غيره ويُبرِّئَ نفسَه، وعسىٰ أن يكون عند الناس مصدَّقاً فيُحمَلُ ذلك عنه، وقد نَسيَه وأَوهَمَ فيه وجَسَر على لُزومه والإصرارِ عليه.

أو يكونُ قد قرأ علىٰ مَن نَسِيَ وضَيَّع الإعراب ودخلَتْه الشُّبهةُ فتوهَّم، فذلك لا يُقلَّدُ القراءةَ ولا يُحتجُّ بنقلِه.

ومنهم مَن يُعرِبُ قراءتَه ويُبصِرُ المعانيَ، ويَعرِف اللُّغاتِ ولا عِلمَ له بالقراءات واختلافِ الناسِ والآثار، فربَّما دعاه

بصَرُه بالإعراب إلىٰ أن يقرأ بحرفٍ جائزٍ في العربية لم يَقرأ به أحدٌ من الماضين فيكون بذلك مبتدعاً»[1] انتهىٰ كلامُ ابنِ مجاهد.

وقال الإمام مكيُّ بنُ أبي طالبٍ القَيسيُّ (ت ٤٣٧ هـ):

«والروايةُ إذا أتتْ بالنصِّ في الكتبِ والقراءةِ كانت أقوىٰ وأَوْلىٰ من روايةٍ لم تُنقَل في كتاب، ولا صَحِبَها نصٌّ.

وما نُقِل بتلاوةٍ ولم يؤيِّده نصُّ كتابٍ فالوهمُ والغلطُ ممكنٌ ممَّن نقلَه؛ إذ هو بشر.

وإنَّما تعلَّقَ القُرَّاءُ بنصوص الكتب لأنه عندَهم أَثبَتُ في الحفظ؛ لأنَّ الحفظَ يَدخلُه الوهمُ والشكُّ.

فليس روايةٌ يَصحبُها النقلُ والنصُّ في الكتب ــ من تأليف المتقدِّمين والمتأخِّرين ـ مثلَ روايةٍ لا يَصحبُها غيرَ أن

---

(١) السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٤٥-٤٦.

يقولَ ناقلُها: كذلك قرأتُ، ولا يَدخلُ قولُه بنصِّ كتاب»[1].

* * *

(١) رسالة تمكين المدِّ في ﴿ءَاتَىٰ﴾ و﴿ءَامَنَ﴾ و﴿ءَادَم﴾ وشِبهِه، لمكيِّ بنِ أبي طالبٍ القَيسيِّ ص ٤٨.

أمثلةٌ علىٰ بعض التغييرات لأصواتِ عددٍ من الحروف بعيداً عن القواعد المدوَّنة

تمهيد:

إننا نعيش بفضل الله ما نستطيع أن نُسميَه (العصرَ الذهبيَّ للقرآن الكريم) فنحن نرىٰ إقبالَ الأُمَّة علىٰ كتاب ربِّها في شتَّىٰ بلاد المسلمين عنايةً بتلاوته وحفظِه من الكبار والصِّغار، والذكورِ والإناث.

وفي غَمْرة هذه العودة إلى القرآن العظيم، ولِقلَّة عددِ المتصدِّين للتعليم من المُتقِنين، فقد تصدَّر لهذه المُهمَّة أحياناً مَن ليسوا أهلاً لها بسبب ضعفهم في التلقِّي المنطوق، وجهلِهم بكلٍّ أو بعضِ التلقِّي المكتوب.

فنرى الواحدَ منهم يقرَأ ويُقرئ متأثراً بلهجته العاميَّة إن كان عربيّاً، أو بأصوات لغته المخالفة لنُطق العرب إن كان أعجميّاً.

ويسوءُ الأمرُ حينما يُنبَّهُ هذا الإنسانُ علىٰ ما عندَه مِن ملاحظاتٍ فتأخذَه الحميَّةُ والعصبيَّة، ويُصِرُّ علىٰ نُطقه المُعْوَجِّ بحُجَّة أنَّه هكذا تلقَّىٰ من أستاذِه، وأنَّ أستاذَه كانَ وكان، مِن الدِّقةِ والإتقانِ بأعلىٰ مكان.

ويزداد الأمرُ سوءاً إن أَمسك هذا الإنسانُ القلمَ وجَلسَ يُدوِّن مَزاعمَه تلك في مؤلَّفٍ حديثٍ لا يَمُتُّ إلى ما ذكرَه أئمتُنا في كتبهم بصِلة.

ومن ذلك ما دوَّنه بعضُهم من ترقيق الألفِ بعدَ الحروفِ المفخَّمة، وفي هذا يقول إمامُنا ابنُ الجزريِّ (ت ٨٣٣ هـ):

«وأما نصُّ بعضِ المتأخِّرين علىٰ ترقيقِها بعدَ الحروفِ المفخَّمة فهو شيءٌ وَهِمَ فيه، ولم يَسبِقه إليه أحد، وقد رَدَّ عليه الأئمةُ المحقِّقون مِن معاصريه»[1].

---

(١) النشر في القراءات العشر لابن الجزريِّ ١/ ٢١٥.

وأُنبِّه هنا إلى **بعض التغييرات الصوتيَّة** في تلاوة القرآن الكريم والتي يكون سببُها التأثُّرَ باللهجة العاميَّة عند العرب أو باللُّغة الأجنبية عند العجم:

١- عدمُ إتمامِ الحركات.

٢- نطقُ الواو العربيَّة مثلَ حرفِ (O) بالإنجليزيَّة، وسببُ ذلك خلطُ صوتِ الواو بصوت الألف.

٣- نطقُ الياء كالألفِ المُمالة، وذلك في نحو: ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ و﴿نَسْتَعِينُ﴾ وسببُ ذلك خلطُ صوتِ الياء بصوتِ الألف.

٤- جعلُ صوتِ الجيم رِخواً، وذلك بإجراء الصوت معه، بخلاف الجيم الفصيحة فإنَّ صوتَها محبوسٌ؛ لأنَّها حرفٌ شديد.

وقد يُغيَّر صوتُ الجيم عند بعضهم بخلطِه بصوتِ الشين، مثل (يَشعلون) بدل ﴿يَجْعَلُونَ﴾.

وقد يُغيَّر صوتُ الجيم كذلك بخلطِه بحرف الدَّال، وذلك باستعمالِ طرف اللِّسان بالإضافة إلى وسَطه، فيقول أحدُهم: الرَّدِيم بدلَ ﴿ٱلرَّجِيمِ﴾ و:يَدْمَعُونَ بدل ﴿يَجْمَعُونَ﴾.

كما قد يُغيَّر صوتُ الجيمِ بصوت (G) كما هو في القاهرة والإسكندريَّة، ومِنطَقةِ تَعْز وما جاورَها في اليمن.

ويُغيَّر صوتُ الجيمِ في بعضِ المناطقِ بقلبِه إلى ياء، كما في منطقة الكويت، فقد يقول العامِّيُّ منهم: إن يايويَ ومايويَ، بدل: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾.

٥- تغييرُ صوتِ القافِ بصوتِ (G) كما هو في بلادِ حضْرمَوت، فيقرأُ أحدُهم: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾.

أو تغييرُ القافِ بخلطِ صوتِها بحرف الغَين كما في بلاد السودان، فيقول أحدُهم: الغَدْر بدَل ﴿ٱلْقَدْرِ﴾ و:غَادِر بَدَل ﴿قَادِرٌ﴾.

وقد ينعكس الأمر فيُخلَط صوت الغَين بالقاف كما هو في بعضِ مناطقِ شرق الجزيرة العربيَّة، فيقرأ أحدُهم: قَيْرِ المَقْضُوبِ بَدَل ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ﴾.

وقد يُغيَّر صوتُ القافِ بقلبِها جِيماً كما في بعض مناطق العراق وشرق الجزيرة العربية، فيقول أحدُهم: فَإِنِّي جَرِيبٌ بدلَ ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ وإنَّا هَا هُنَا جَاعِدُونَ بدلَ ﴿إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾.

كما قد يُغيَّر صوتُ القافِ بقلبِها كافاً أو تقريبِها منها، كما هو في مِنطقَة صَفَد بفلسطينَ السلِيبة، فيقول

أحدُهم: كَالَ بدلَ ﴿قَالَ﴾ و:كَدَّرْنَا بدل ﴿قَدَّرْنَآ﴾ بل قد نَسمعُ ذلك مِن بعض القُرَّاءِ الَّذين يُبالغون في ترقيق القافِ المكسورةِ حتى تكادَ تكونُ كافاً، فيقرأ أحدُهم: وَبِالحَكِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالحَكِّ نَزَلَ، بدلَ ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾.

٦- تغيير الحروف اللِّثوية بسبب عدمِ إخراجِها مِن مخرجِها الصحيح، فتُحوَّلُ الثاءُ إلى سين، والذالُ إلى زاي، والظاءُ إلى صادٍ مُشمَّةٍ زاياً، فيقول أحدُهم: سَلَاسَة بدلَ ﴿ثَلَٰثَةٌ﴾، والَّزِينَ بدلَ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ و﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بالوصف المذكور سابقاً، كما نسمعه من العامَّة في الشام ومِصرَ وغيرِهما.

٧- وقد يقعُ التغييرُ لبعض الأصوات القرآنيَّة بسبب عدمِ وجودِها في العاميَّات المعاصِرة، كالهمزة المسهَّلة مثلاً،

فيَقلِبُها بعضُهم هاءً خالصة فيقول: أَهَعْجَمِيٌّ بدلَ ﴿ ءَاْعْجَمِيٌّ ﴾ أو يبدلُها حرفَ عِلَّةٍ فيقول: أَيذَا بدلَ ﴿ أَءِذَا ﴾.

٨- وأيضاً يَستصعِبُ بعضُهم الألِفَ المُمالةَ إمالةً كبرىٰ في نحوِ ﴿ مَجْرٖىٰهَا ﴾ علىٰ روايةِ حَفْصٍ فيقلِبُها ياءً فيقول: مجرِيها، ويقول: وَجِيءَ بالياء بدلَ ﴿ وَجَآءَ ﴾ بإمالةِ ألِفِها علىٰ قراءة حمزة.

٩- ومن التأثُّر بالعامِّيَّة ما نسمعُه من تقليلِ الألِفات أي إمالتِها إمالةً صغرىٰ في نحو: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ﴾، ونحو: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ نسمعُ ذلك من كثير من المِصريِّين والتونُسيِّين.

١٠- ومن التغيير لبعضِ أصواتِ الأحرفِ القرآنيَّة ممَّا سببُه التأثُّر بلُغةٍ غيرِ العربيَّة خلطُ صوتِ الواو

بالياء كما يفعلُه أغلبُ الأتراك، فيقول أحدُهم: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بواوٍ مشوبة بالياء.

١١- ومن ذلك خلطُ صوتِ الواوِ بحرفِ (v) وهو أيضاً ما يفعلُه بعضُ الأتراك فيقول أحدُهم: ﴿وَكَانَ﴾ بواو مُشْرَبة صوت (v).

١٢- كذلك المبالغةُ في همس الكافِ والتَّاء المتحرِّكتَين، وهو ما نسمعه من بعض الأتراك والمغاربة، في نحو: ﴿إِنَّكُمْ﴾ و﴿نُوَفِّهِمْ﴾.

١٣- ومن ذلك تغييرُ صوت الضادِ الفصيحةِ إلى أقربِ حرفٍ يستسهلُه الإنسانُ بحُكمِ لهجتِه أو لُغتِه، فيَقلِبُه بعضُهم إلىٰ ظاءٍ أو شِبهِها، أو إلىٰ دالٍ مرقَّقة أو مفخَّمة، أو إلىٰ لام.

١٤- ومن ذلك تغييرُ صوتِ الحاءِ إلى الخاءِ أو الهاء، فيقرأ أحدُهم بدلَ ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: الرَّخْمانِ

الرَّخِيم، أو: الرَّهْمانِ الرَّهِيم، وبدلَ ﴿ٱلْخُرُّ بِٱلْحُرِّ﴾: الخُرُّ بالخُرِّ، أو الهُرُّ بالهُرِّ.

١٥- ومن ذلك تغييرُ صوتِ حرفِ الراء بعدمِ تمكينِ طرفِ اللِّسان من مخرجِها الصحيح فيَخرجُ صوتٌ فَمَويٌّ عائم، أو تغييرُ صوتِها بإبدالِها غَيناً كما يفعلُه الفرنسيُّون ومَن تأثَّر بهم.

* * *

أمثلةٌ علىٰ بعضِ التغييراتِ لأصواتِ عددٍ من الحُروف بسببِ استنطاقِ النُّصوص

هذا هو المَزْلَق الثَّاني الذِي قد يقَعُ فيه المَرء بسببِ استنطاقِ نصوصِ الأئمَّة بعيداً عن التلقِّي المنطوقِ الذي وصلَنا مِن أفواهِ المشايخِ العارفينَ أصحابِ الأسانيدِ المتَّصلة إلىٰ رسولِ الله ﷺ ومِن صُور ذلك:

١- ما ذكرَه الإمامُ المحقِّقُ محمدُ بنُ الجَزَريِّ (ت ٨٣٣ هـ) في كتابه غايةِ النِّهايةِ في طبقاتِ القُرَّاء عندَ ترجمةِ محمدِ ابنِ محمودٍ السَّمَرْقَنْديِّ مِن قوله: «ولمحمدٍ هذا كتابٌ في التَّجويد لا بأسَ به لولَا أنَّه ذكرَ إظهارَ الغُنةِ والإخفاءَ عندَ الميمِ السَّاكنةِ إذا لم يكن بعدَها أحدُ حروفِ (بُوف) وهذا غلَطٌ منه ومِن غيرِه، وكأنَّهم لَمَّا رأَوا النصَّ على الإظهارِ في هذه الأحرفِ الثلاثةِ حَسِبوا أن

يكونَ الإخفاءُ عند باقي الحروف » اهـ[1].

٢- ومن صُورِ استنطاقِ النُّصوصِ ما فَعلَه محمدٌ المَرْعَشِيُّ المعروفُ بساجِقْلِي زادَهْ (ت ١١٥٠ هـ) مِن إعمالِ الذِّهنِ في الوصفِ المُدَوَّنِ للحُروف فخَرجَ بأمرَين خطيرَين:

أوَّلُهما: أنَّ الطاءَ يجبُ أن تُنطَقَ كالضاد التي ننطِقُها نحنُ اليوم، فبدلاً من الشَّيْطَان يقول: الشَّيْضَان، وبدلاً من ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ يريدنا أن نقول: أَضِيعُوا اللهَ وَأَضِيعُوا الرَّسُول، والعياذُ بالله تعالىٰ.

والأمرُ الثاني: هو نُطقُ الضادِ شبيهةً بالظَّاء، وهو قولٌ فاسِدٌ قديمٌ أحياه المَرْعَشِيُّ بإعمالِ ذِهنِه في النُّصوصِ بعيداً عن التلقِّي المنطوق، ومعلومٌ الفسادُ

---

(١) غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزريِّ ٢/ ٢٦٠.

المترتِّبُ علىٰ خلطِ صوتَي الضاد والظاء، فـ﴿ ضَلَّ ﴾ غيرُ ﴿ ظَلَّ ﴾ و﴿ نَّاضِرَةٌ ﴾ غيرُ ﴿ نَاظِرَةٌ ﴾ وإنَّما وَقعَ كثيرٌ مِن العامَّة ـ وخاصَّةً أهل البوادي ـ في هذا الخلطِ لعدمِ تمكُّنِهم من نُطقِ الضَّادِ الفصيحة، فكانتِ الظاءُ أقربَ حرفٍ لها فأَبدَلوها منها.

٣- ومِن ذلك ما فَعلَه أحدُ الشُّيوخِ المعاصرينَ مِن قياسِه إخفاءَ الميمِ عندَ الباءِ علىٰ إخفاءِ النُّونِ عند حروفِها الخمسةَ عشَر، فبَدا له أنَّه يَجبُ عدمُ إطباقِ الشَّفتَين عند نُطقِ الميمِ المُخفاة، قياساً علىٰ أنَّنا لا نُعمِلُ طرَفَ اللِّسانِ عندَ إخفاءِ النُّون في نحو ﴿ أُنزِلَ ﴾ و﴿ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ و﴿ أَنفُسِكُمْ ﴾ وهي شبهةٌ قويَّةٌ سببُها القياسُ بعيداً عن التلقِّي المنطُوق، وليس هذا مجالَ تفنيدها.

قال إمامُنا الشاطبيُّ رحمه اللهُ تعالىٰ:

« وَمَا لِقِيَاسٍ فِي الْقِرَاءَةِ مَدْخَلٌ »[1]

وقال الإمامُ ابنُ الجَزَريِّ بعد أن بيَّن القياسَ الصحيحَ مِن غيرِه:

« وقد زَلَّ بسببِ ذلك قومٌ وأَطلقوا قياسَ ما لا يُروَىٰ علىٰ ما رُوي، وما لَه وجهٌ ضعيفٌ على الوجهِ القوي، كأَخْذِ بعضِ الأغبياءِ بإظهارِ الميمِ المقلوبةِ مِن النُّونِ والتَّنوين، وقَطعِ بعضِ القُرَّاءِ بترقيقِ الراءِ الساكنةِ قبلَ الكسرةِ والياء، وإجازةِ بعضِ مَن بَلغَنا عنه ترقيقَ لامِ الجلالةِ تبعاً لترقيقِ الرَّاءِ مِن ﴿ذُكِرَ ٱللَّهُ﴾[2] إلىٰ غير ذلك .. ممَّا سلكْنا فيه طريقَ السَّلَف، ولم نَعدِل فيه إلىٰ تَمويهِ الخَلَف» اهـ[3].

---

(١) متن الشاطبيَّة، البيت رقم ٣٥٤.

(٢) وذلك من طريقِ الأَزرقِ عن وَرْش.

(٣) النَّشر في القراءات العشر لابنِ الجَزَريِّ ١/ ١٨.

أقول:

فمِن كلِّ ما سبَق يتبيَّن لنا أنَّ المنهجَ الصحيحَ في تلقِّي القرآنِ الكريمِ ونقلِ أصواتِه النقلَ الدَّقيقَ يكونُ بعدمِ إهمالِ أحدِ جَناحَيِ التلقِّي اكتفاءً بأحدِهما عن الآخَر، فالرِّوايةُ لها نَقلُها، والدِّراية لها ضَبطُها.

***

ضوابطُ تلقِّي القرآنِ الكريم

إنَّ تلقِّيَ القرآنِ الكريمِ مِن أفواهِ الشُّيوخِ القُرَّاءِ علىٰ أنواع:

١- تصحيحُ التِّلاوة:

وذلك بأنْ يَسمعَ الطالبُ النُّطقَ الصحيحَ لحروفِ القُرآن مِن أُستاذِه، ثُم يُحاكيَ ويُقلِّدَ ذلك النُّطقَ والأستاذُ يُصحِّح أو يُقِرُّ.

وقد يكونُ هذا التصحيحُ لبعضِ القُرآن، كالفاتحةِ وجُزءِ عَمَّ مثلاً، أو يكونُ للقرآنِ كاملاً مِن أوَّلِه إلىٰ آخره، وذلك بإحدى الرِّواياتِ التي نُقلَ القُرآنُ العظيمُ مِن خلالها، كرواية حَفْصٍ أو وَرْشٍ أو قالُونَ أو غيرِها.

٢- الحفظُ غيباً:

وهو مِن مزايا هذهِ الأُمَّةِ المُحمَّديَّة، قال تعالىٰ: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾[1].

---

(١) العَنكبوت ٤٩.

وقد تبارى المسلمون قديماً وحديثاً في حفظِ كتابِ الله، كُلٌّ حَسْبَ استطاعتِه وما آتاه اللهُ تعالىٰ مِن ملَكات.

وأقلُّ ما يجبُ على المسلمِ حفظُه ما تصحُّ به صلاتُه، وهو الفاتحةُ الشَّريفة، وأعلىٰ ما يَصلُ إليه المَرءُ هو حفظُ القرآنِ الكريمِ كاملاً.

والذي يَشهدُ لإنسانٍ ما أنَّه قد حَفِظَ مِن القرآنِ كلَّه أو بعضَه هو أستاذُه الذي استمعَ إلىٰ حفظه.

فبناءً علىٰ ما سبق نُحدِّد أنواعَ تلقِّي القرآنِ الكريمِ بما يلي:

١ - عرضُ القرآنِ الكريمِ كاملاً غيباً علىٰ أستاذٍ مقرئٍ متَّصلِ الإسناد، مع إتقان أحكام التلاوة نظرياً وتطبيقياً: وهذا أعلىٰ أنواعِ التلقِّي وأتمُّه، وهو الذي جرىٰ عليه الأئمَّةُ القُرَّاءُ عبرَ العُصورِ إلىٰ وقتنا الحاضر.

وفي هذا النوع مِن التلقِّي يُدقِّق الأستاذُ علىٰ تِلميذِه في

الكَبيرةِ والصَّغيرةِ حتىٰ تصيرَ تلاوتُه مطابِقةً لتلاوتِه، وحتىٰ نضمنَ عدمَ هُبوطِ مستوى الأداءِ مِن جِيلٍ إلىٰ جِيل.

ويحضُرُني في هذا المَقام إجازةٌ مخطوطةٌ في مكتبةِ الجامعِ الكبيرِ بصنعاء، برقم (١٥٩٦) ومؤرَّخةٌ سنةَ ٦١١هـ، وهي نَموذج للإجازات القرآنيَّة يتبيَّنُ من خلاله حرصُ الأئمَّة القُرَّاءِ علىٰ دِقَّة النقلِ لأَصواتِ القرآنِ الكريمِ منهم إلىٰ تلاميذِهم، كما تلقَّوها هم عن أشياخهم، بالإضافة إلىٰ تحذير المُجازِينَ من التغيير والتبديل، بل حتىٰ حرَصُوا على النصِّ علىٰ مكانِ وزمانِ القراءةِ والإجازة، وعلىٰ إشهادِ مَن حضرَ مِن أهلِ العلمِ والفضل عند الإجازة، كلُّ ذلك ليُعلِّموا طلابَهم الأمانةَ في أداءِ أصواتِ الحروف القرآنيَّة ليَسْلَمَ القرآنُ كما أُنزِل، تقول الإجازة:

« بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمدُ لله وحدَه، وصلواتُه على محمدٍ خيرِ خلقه وآلِه وسلَّم:

قال المقرئُ الأجلُّ عبدُ الله بنُ عليِّ بنِ إبراهيمَ بنِ محمدٍ اليَحياي :

قرأ عليَّ المقرئُ الأجلُّ مسعودُ بنُ أبي السعدِ بنِ مسعودٍ الحَكَميُّ القرآنَ الكريمَ مِن أوله إلىٰ خاتمةِ القرآن للسبعةِ القُرَّاءِ ورواتِهم، دفَعاتٍ شتَّى، في مجالسَ كثيرة، في اللَّيل والنهار، وكانت قراءتُه عليَّ كما قرأتُ علىٰ شيخي الأجلِّ عليِّ بنِ محمدٍ المُعجِّليِّ، كما قرأ علىٰ شيخه سعيدِ بنِ أسعدَ بنِ حِمْيَرِ بنِ عبدِ الأعلىٰ قدَّس اللهُ روحَه في الجنة، كما قرأ علىٰ شيخه محمدِ بنِ إبراهيمَ الحضرميِّ رحمةُ الله عليه، كما قرأ علىٰ المقرئ عمرَ بنِ عبدِ الله مقرئِ الحرمَين ومفتيهما، عن والده رحمه الله ، عن الشيخِ أبي مَعْشَرٍ عبدِ الكريمِ بنِ عبدِ الصمدِ

رحمةُ الله عليهم أجمعين، وإسنادُه غيرُ خافٍ؛ إذ هو إمامُ هذه الصِّناعة، معروفٌ بها في الأمصارِ كلِّها».

ثم قال: «وكانت قراءتُه عليَّ في مسجدِ إسحاقَ في مِخلافِ مِعفانَ من سبَع، من أتباع حَراز.

وانتهت قراءتُه عليَّ في يومِ الأربعاء لتسعِ ليالٍ خلَوْنَ من شهر جُمادَ الآخِر[1]، سنةَ أحدَ عشرَ وستِّمائة[2].

فاللهُ تعالىٰ يوفِّقُنا وإياه، فيما تعلَّمناه وعلَّمناه، **ويَعصِمُنا من الزَّلل والخطإِ والنقلِ لِما لم نسمع**، إنه وليُّ ذلك.

ونسألُه العونَ والتسديدَ والتثبيتَ في الدنيا والآخرة، **وأعوذ بالله من الخطإِ والنسيان وأن يرويَ عني ما لم يسمعْه مني**.

وأذنتُ له أن يُقرِئَ مَن أحبَّ القرآنَ ورغِب به، **ويرويَ**

---

(١) الوجهُ أن يُقال: من شهر جُمادَىٰ الآخِرة.

(٢) الوجهُ أن يُقال: سنةَ إحدىٰ عَشْرةَ وستِّمائة.

عني ما سمعه عليَّ وما قرأه عليَّ، وأن يقول : قال لي.

ونسألُ اللهَ العونَ والتوفيقَ في جميعِ الأمور.

وأشهدتُّ له علىٰ لفظي مَن حَضَر وهُم : الفقيهُ زيدُ بنُ أبي السُّعود، والمقرئُ عبدُ الله بنُ إبراهيمَ بنِ محمدٍ اليَعلاي، وأحمدُ بنُ عبدِ الله الهجريُّ، وإبراهيمُ بنُ عبدِ الله بنِ خليفةَ العباديُّ، ومحمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ يوسفَ الصنعانيُّ، والفقيهُ عبدُ الله بنُ محمدٍ اليَعلاي، والمقرئُ عليُّ بنُ محمدِ ابنِ زاكي، وكفىٰ بالله شهيداً، وصلَّى اللهُ علىٰ محمدٍ وآله وسلَّم» اهـ.

٢- حفظُ بعضِ القرآن الكريم غيباً مع إتقان أحكام التلاوة نظرياً وتطبيقياً لكلِّ القرآن:

وهذا النوع من التلقِّي أدنىٰ مِن الذي قبلَه، ويناسبُ شريحةً أكبرَ مِن المجتمع الإسلاميِّ.

٣- حفظُ بعضِ القرآن الكريم غيباً مع إتقان أحكام التلاوة نظرياً وتطبيقياً لبعض القرآن: وهو ما يناسبُ السَّوادَ الأعظمَ من المسلمين.

ولمَّا كان النوعُ الأوَّلُ من التلقِّي هو أعلاها وأتمَّها فأرىٰ ألَّا يُطلَق مصطلحُ (إجازة في القرآن الكريم) إلَّا عليه، وأمَّا النوعانِ الآخران فيُعبَّر عنهما بكلمةٍ أخرىٰ مثل: (شهادة إتقان التِّلاوة) أو ما شابَه.

* * *

مفهومُ الإشهادِ على الإجازة

قد يَقرأُ طالبٌ علىٰ شيخٍ مُقرئٍ ما يَستَحقُّ به الإجازة، فيُجيزُه، ويُحِبُّ ذلك الطالبُ أوِ الأُستاذُ أن يُشهِدَ بعضَ ذوي الفضلِ علىٰ تلك الإجازة، كأنَّه يقول: اشهَد عليَّ يا فلانُ أنِّي قد أَجَزتُ هذا الطالبَ بما قرأ عليَّ مِن القُرآن، وهذا أمرٌ قد جَرَتْ عليه عادةُ الأئمَّة سلَفاً وخلَفاً.

ولكنَّنا نسمعُ اليومَ مِن فُلانٍ أو فُلانةٍ ممَّن شَهِدَ علىٰ إجازتِه مِن أُستاذِه ـ أو أُستاذتِها ـ المقرئُ الفلانيُّ المشهورُ أنَّه يقول: عِندي إجازةٌ مِن فلان. ويَقصِدُ الشَّيخَ الذي شَهِدَ علىٰ إجازتِه فيُوهِمُ أنَّه قَرأَ ـ أو قَرأَتْ ـ على الشَّيخِ المشهورِ نفسِه، وهذا مِن أنواعِ التدليسِ المعروفِ عندَ المشتغِلين بعلومِ الحديث.

* * *

ومِن الأُمورِ التي تَحْدُث اليومَ مِن بعضِ مَن تَصدَّىٰ للإقراء ـ وأتمنَّىٰ ألَّا تَحدُث ـ ما يلي:

١- **عدمُ وضوحِ نصِّ الإجازة:**

فقد تكون القراءةُ نظراً مِن المُصحف ولا يُنَصُّ علىٰ ذلك، أو قد تكونُ لبعضِ القرآنِ لا لكُلِّه ولا يُبيَّنُ هذا الأمر.

٢- **قراءةُ خَتمةٍ (مرَقَّعة) علىٰ أكثرَ مِن أُستاذٍ** ثُم يُجِيزُ واحدٌ منهم بكُلِّ القرآن، فكَيف يكونُ هذا؟!

٣- وقد ينعكسُ الأمر، **فيقرأُ أكثرُ مِن طالبٍ بالتَّناوُب خَتمةً واحدةً** علىٰ شيخٍ واحد، ثُم يُجِيزُهم أجمعين، فكيفَ يَحدُث هذا أيضاً، وهَل يَستطِيعُ كلُّ مَن سَمِع أداءً لكلمةٍ قرآنيَّةٍ أن يعيدَها كما سَمِعها؟

٤- **قراءةُ خَتمةٍ (مرَقَّعةٍ) بأكثرَ مِن رِواية**؛ كأن يكونَ بعضُها

علىٰ رِوايةِ حَفْص، وبعضُها علىٰ وَرْشٍ أو قالُون، ثُمَّ يُقال: قَرأَ عليَّ خَتمةً كاملةً بالرِّوايتَين، فيُوهِمُ أنَّه قد جمَعَ كلَّ أوجُهِ الرِّوايتَين في تلك الخَتمة، مع أنَّ هذا لَم يَحدُث، وهذا مِن أنواعِ التدليس، ولا مبرِّر له ولا مسوِّغ.

٥- قراءةُ **خَتمةٍ سريعةٍ في وقت ضيِّق جداً** بحُجةِ أنَّ الطالبَ علىٰ سفر، أو غريبٌ، ويريدُ نيلَ الإجازةِ قبلَ سفرِه، فيُتَساهَل معه في جَودة الأداءِ ودِقَّةِ الأحكام، بل إنَّ كثيراً مِن الأحكام التي يجب عليه معرفتُها نظريّاً لا تُشرَحُ له ويُجازُ مِن غير أن يعرفَها بحُجَّة ضِيقِ الوقت، فما فائدةُ إجازةٍ كهذه ؟ وهل الإجازة غايةٌ أم وسيلة؟

٦- بعضُ السَّادةِ المقرئين يَجورُ علىٰ نفسِه، ويَضغطُ عليها أكثرَ ممَّا تَحتمِل، فيَجلس للإقراء مع شِدَّة الإعياءِ أو النُّعاس، مما يُفوِّتُ عليه **الأمانةَ في التَّلقين**، خاصةً لأحكام بعضِ الكلماتِ التي لا تتكرَّرُ في القرآن الكريم.

وفي الحديث النبويِّ الشريف: «خُذُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ»[1].

* * *

اللهمَّ أرِنا الحقَّ حقّاً وارزقنا اتِّباعَه، وأرِنا الباطلَ باطلاً وارزقنا اجتنابَه، ووفِّقنا لما تحبُّ وترضىٰ، وأَدِمْ علينا نعمَةَ تعلُّمِ القرآنِ العظيمِ وتعليمِه إلىٰ أن نلقاك وأنت راضٍ عنَّا يا ربَّ العالمين، وصلَّى اللهُ وسلَّمَ وباركَ على سيِّدنا ونبيِّنا محمَّد، وعلىٰ آله وصحبِه أجمعين، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

جُدَّة: ١٩/ شوَّال/ ١٤٢٧هـ — خادم القرآن الكريم

الجمُعة ١٠/ ١١/ ٢٠٠٦م — د. أيمن رشدي سُوَيْد

---

(١) أخرجه البخاريُّ ٢/ ٦٩٥ الحديث رقم ١٨٦٩، ومسلمٌ في كتاب صلاة المسافرين، باب أمرِ مَن نَعَسَ في صلاتِه أو اسْتَعْجَمَ عليه القُرآنُ أو الذِّكرُ بأَنْ يَرْقُدَ أَوْ يَقْعُدَ حتَّىٰ يَذهبَ عنه ذلك، وأحمدُ برقم ٢٣٣٩٩.